

تأليف فضيلة الشيخ
د/صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

طبع ونشر
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية
الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الرابعة
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



الفقه في الدين عصمة من الفتن

لفضيلة الشيخ
د/ صالح بن فوزان الفوزان

طبع ونشر
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية
الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الرابعة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشـــر

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

الريـــاض – المملكـة العربيـة السعوديـة

وقف لله تعالى

الطبعة الرابعة – ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان

الفقه في الدين عصمة من الفتن./ صالح بن فوزان الفوزان

ط٤.- الرياض، ١٤٣١هـ

٨٨ ص؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك: ٤ - ٤٨٠ - ١١ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١- الإسلام-نظام الحكم　　٢- الطاعة

٣- الفتن في الإسلام　　أ- العنوان

ديوي ٢٥٧,١　　١٤٣١/١٦٩٤

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٦٩٤

ردمك: ٤ - ٤٨٠ - ١١ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

محاضرة

الفقه في الدين عصمة من الفتن

لفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

ويليها

تعليق سماحة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

على المحاضرة

ويليه

أسئلة ألقيت على سماحة الشيخ

ثم حوار

مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز

حول (الفقه في الدين)



بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة بعنوان:

(الفقه في الدين عصمة من الفتن)

لفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه، ومن تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى مَنَّ علينا بالإسلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى

ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٠٢ ـ ١٠٥.
(٢) سورة المائدة، الآية ٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية٨٥.
(٥) سورة الحج، الآية٧٨.

إن نعمة الإسلام نعمة لا يعدلها شيء من النعم الأخرى، وإن كانت نعم الله عظيمة، لا تُحتقر ولا تستصغر، بل يجب أن تذكر وتشكر، ولكن نعمة الإسلام هي أعظم النعم، الإسلام الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ، فبعثة هذا الرسول ﷺ أيضاً نعمة عظيمة؛ لأنه هو الذي بين هذا الإسلام، وجاء به، ودعا إليه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ولكن هناك صوارف وعوارض تعرض للإنسان قد تخرجه من هذا الإسلام ـ إن كان من أهله ـ أو تضعفه في قلبه، أو تَصُدُّه عن الدخول فيه، إن كان ليس من أهله.

هناك فتن عظيمة تعرض للإنسان، فيجب عليه أن يكون على معرفة بها، وعلى حذر منها، كما يجب عليه أن يعرف ما هو المخرج منها إذا ابتلي بها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

ومن هنا كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه يقول: كان النـــاس يسألـون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن أقع فيه.

فمعرفة الإسلام أولاً والتبصر فيه، ومعرفة أحكامه وتفاصيله أمر واجب، ثم أيضاً معرفة ما يَصْرِف عنه ويحول بين العبد وبينه، أو ما يُضَعِّفُه في قلبه من الآفات، فيعرف المنافع ويعرف المضار، من أجل أن يأخذ بالمنافع ويتجنب المضار، فإنه إذا لم يعرف الأمور الضارة والأمور المضللة، ربما أنها تُهْلِكُه وهو لا يدري، والله جل وعلا أمرنا أن نتمسك بهذا الدين إلى الوفاة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، ولا شك أن البقاء على الإسلام بيد الله سبحانه وتعالى، فنحن لا نملك أن نبقى على الإسلام إلى أن نموت، وإنما هذا بيد الله سبحانه وتعالى، ولكن معنى هذا: أننا نأخذ بالأسباب التي تسبب البقاء على هذا الإسلام إلى الموت: الأسباب الواقية، فإذا أخذنا بالأسباب فإن الله

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

سبحانه وتعالى بمنه وفضله يتمم علينا نعمته، ويتوفانا على الإسلام؛ لأننا بذلنا الأسباب، وسعينا في النجاة، والله جل وعلا حليم كريم، إذا رأى من عبده حرصاً على الخير ورغبة فيه، وبغضاً للشر وخوفاً منه، فإن الله سبحانه وتعالى يسدده، ويقيه، ويحميه، ويُسَلِّمُ له دينه، ويتمم له بخير.

أما إذا رأى من عبده إعراضاً، وعدم رغبة في الخير، وعدم كراهية للشر، فإن الله سبحانه وتعالى يولِّهِ ما تولى؛ عقوبةً له، وعدلاً منه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1]، فصار السبب من قبل العبد، يشاقق الرسول، ويتبع غير سبيل المؤمنين، السبب من قِبَلِهِ، والعقوبة من الله سبحانه وتعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

والفتن جمع فتنة، والفتنة معناها: الامتحان والابتلاء؛ ليظهر بذلك صدق الإيمان أو النفاق، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٥.

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[١]، فلا يصبر عند الفتن ليثبت على الحق، وإنما يفر من دينه ويطاوع للصوارف، يظن أنه بذلك ينجو، وإنما خرج من شر إلى ما هو شر منه ـ كالمستجير من الرمضاء بالنار ـ جعل فتنة الناس كعذاب الله، وهل فتنة الناس تعادل عذاب الله؟! إنه إذا ترك دينه، وتجاوب مع الفاتنين وطاوعهم خرج إلى عذاب الله، ولو أنه صبر على أذى الناس، وصبر على أذى العباد، وتمسك بدينه، لكان هـذا الألـم الـذي يلاقيه مؤقتاً، والفرج قريب، والعاقبة حميدة، ولكنه بالعكس لم يصبر على أذى الناس وفتنة الناس، بل أطاعهم في معصية الله، وأجابهم إلى ما سألوا من الكفر بالله، فصار إلى عذاب الله المؤلم.

فالفتنة: هي الابتلاء والامتحان؛ ليظهر بذلك الصادق في إيمانه، الثابت على عقيدته، من المذبذب المزعزع، الذي تعصف به أول عاصفة من الفتن.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ١٠.

وأما الفقه في الدين، فالفقه لغة: الفهم، وشرعاً: الفهم في أحكام الله عز وجل، الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأن الله أنزل هذا القرآن وأنزل السنة النبوية هدىً للناس، فيها الهدى، وفيها بيان كل شيء مما يحتاجه العباد في أمور دينهم، وما يسعدهم في الدنيا والآخرة. ضَمَّنَ الله هذا الكتاب كل ما يحتاجه البشر، فيه الكفاية، وإلى جانبه بيان الرسول ﷺ، وسنة الرسول المبينة للقرآن، المفسرة للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١).

فالرسول مبين ومبلغ، ومفسر لهذا الكتاب العظيم، فالكتاب والسنة فيهما الهداية من الضلال، وبيان طريق الخير وطريق الشر.

فالفقه في الدين: هو أن نعقل ونفهم من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ حكم ما يَعْرِضُ لنا من المشكلات، وما يُعْرَضُ علينا من الفتن، حتى نتجنبها ونأخذ طريق النجاة، هذا هو الفقه في الدين.

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٤.

والله تعالى أمر بالفقه في الدين، وذم الذين لا يفقهون، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١].

ووصف المنافقين بأنهم لا يفقهون، يعني: لا يفهمون أحكام الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم لم يريدوا ذلك، ولم يلتفتوا إليه ولم يهتموا به، فصاروا لا يفقهون.

والفتن كثيرة، وتكثر وتعظم وتتجدد في آخر الزمان. الفتن كثيرة، والإنسان يعايش الفتن كل حياته، ولكن مُقل ومُستكثر، والله سبحانه وتعالى أخبر أن المال والأولاد فتنة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٢.
(٢) سورة التغابن، الآية ١٥.
(٣) سورة المنافقون، الآية ٩.

فالأموال والأولاد فتنة، من آثر حب المال، وحب الولد، وحب البلد، وحب العشيرة، وحب التجارة، وحب المساكن على محبة الله ورسوله؛ فليرقب أسوأ النتائج، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١].

فالأموال والأولاد فتنة، والزوجة فتنة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾[٢]، لا تؤثروا محبتهم على محبة الله ورسوله، لا تؤثروا طاعتهم على طاعة الله ورسوله، لا تنشغلوا بهم عما يقربكم إلى الله سبحانه وتعالى، احذروا، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ ليس معنى احذروهم:

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٤.

(٢) سورة التغابن، الآية ١٤.

أنكم تعادونهم، وتبتعدون عنهم، وتقاطعونهم، لا، معناه: أنكم تحذرون فتنتهم، وتحذرون الانحياز معهم؛ إذا تعارضت محبتهم مع محبة الله ورسوله، بل قدموا محبة الله ورسوله على محبة الأموال والأولاد، وحينئذ يُصْلح الله لكم الأموال ويصلح لكم الأولاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(١).

الواجب على المسلم في هذا الموقف: أن يتقي الله ما استطاع، وألا يقدم محبة زوجته إذا تعارضت مع محبة الله، أو محبة ولده، أو محبة ماله؛ إذا تعارض ذلك مع ما يحبه الله عز وجل، بل يقدم ما يحبه الله عز وجل، وبذلك يصلح الله له ماله، ويصلح له زوجته، ويصلح له أولاده.

الخير والشر فتنة، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٢)، الخير الذي هو المال والغيث

---

(١) سورة التغابن، الآيات ١٤ ـ ١٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

والخصب والنِّعَم، والشر الذي منه الابتلاء والامتحان، والقحط والجوع والمرض، هذا كله فتن تعرض على الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾، وكذلك الطاعة والمعصية فتنة، والإنسان يؤمر بالطاعة، وينهى عن المعصية، تَعْرِض له الطاعة، يأتي وقت الصلاة والعبادة، ويأتي وقت اللذة والأكل والشرب والاستمتاع وغير ذلك، فأيهما يقدم؟ هذا ابتلاء وامتحان، ابتلاء وامتحان من الله سبحانه وتعالى. الناس بعضهم لبعض فتنة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[١].

فالناس يبتلي الله سبحانه وتعالى بعضهم ببعض، يبتلي المؤمن بالكافر، ويبتلي المؤمن بالمنافق، يبتلي عباده بعضهم ببعض، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٢٠.
(٢) سورة محمد، الآية ٤.

بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾(١).

فالمؤمن والمسلم يبتلى بأعدائه من الكفار والمنافقين والعصاة؛ ليتجلّى موقفه منهم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، أو الاستسلام والإخلاد إلى الراحة، فإن كانت الأولى ـ وهي: الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد ـ كان على خير، ونجح في الامتحان، وإن كانت الثانية ـ وهي: الاستسلام والإخلاد إلى الراحة، وعدم التعرض للناس وهم على شرهم، وعدم دعوتهم إلى الله، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الجهاد في سبيل الله، إنما استسلم وأخلد إلى الراحة ـ كانت الخسارة والإخفاق في الامتحان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾(١)، كذلك يبتلي الغني بالفقير، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٢٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٣.

الكفار يحتقرون فقراء المسلمين، ويقولون: أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا؟! هؤلاء ناس فقراء، ليس بأيديهم شيء، كيف يكونون هم على الهدى ونحن على الضلال؟! نحن أهل المال، ونحن أهل الثروة، ونحن أهل الرئاسة وأهل الرأي، وأهل الحل والعقد، وهؤلاء فقراء مساكين، ومع هذا يزعمون أنهم خير منا، وأنهم... ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾، يقول الله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾، الله جل وعلا لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. فالفقير الشاكر، المؤمن بالله، الراغب في الخير، هذا هو ولي الله عز وجل، أما المستكبر والمتعالي على الحق، الذي أُعْجِبَ بماله ونفسه وجاهه، ولم يقبل الحق، فهذا لا يساوي عند الله شيئاً، وإن كان يساوي عند نفسه شيئاً كبيراً، فإنه لا يساوي عند الله شيئاً، قال تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ يعني: هؤلاء حصلوا على الهداية دوننا؛ وهم بهذه الحالة من الفقر والفاقة والحاجة، نحن أعز منهم، ونحن أكبر منهم، هذا بزعمهم؛ لأن المقاييس عندهم مقاييس

الغنى والثروة والجاه، وليست مقاييس القلوب والأعمال، أما المقاييس عند الله جل وعلا فهي بالقلوب والأعمال «ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، والله جل وعلا يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي هذا الدين إلا لمن يحب، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾.

كذلك من أعظم الفتن فتنة التفرق والاختلاف، وظهور الفرق والجماعات، هذا من أعظم الفتن، وهذا شيء أخبر عنه النبي ﷺ، فإنه ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة» السمع والطاعة، يعني: لولاة أمور المسلمين؛ لما في ذلك من اجتماع الكلمة، وقوة الأمة، وهيبة الأمة أمام أعدائها، إذا اجتمعت تحت قيادتها، وتحت ولايتها المؤمنة، فإن ذلك يجعل للأمة هيبة وقوة «والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد»، يعني: لا

تحتقروا ولي الأمر مهما كان، بل اسمعوا وأطيعوا، ما دام أنه يأمر بطاعة الله «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً**»، هذا خبر منه ﷺ بوقوع الاختلاف بين المسلمين، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، فلابد أن يقع ما أخبر به ﷺ إن عاجلاً وإن آجلاً، «**فسيرى اختلافاً كثيراً**»، ما قال: سيرى اختلافاً، فقط، بل قال: كثيراً، ثم أرشد ﷺ إلى ما ينجي من شر هذا الاختلاف، فقال: «**فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، هكذا أخبر ﷺ عن وقوع الاختلاف في الآراء والأفكار، والمذاهب والجماعات والفرق، لكنه أوصى عند ذلك بالتمسك بكتاب الله وسنته ﷺ، وما كان عليه خلفاؤه الراشدون؛ فإن ذلك ضمانة النجاة لمن عمل به، أما من أفلتت يده من سنة رسول الله ﷺ ومنهج الخلفاء الراشدين، فإنه سيضيع مع هذه الفرق المختلفة.

وكان ﷺ يقول في خطبه ومحادثاته: «**إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور**

محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار»، فبين ﷺ أسباب النجاة من الفتن وهي: التمسك بكتاب الله، والتمسك بهدي رسول الله ﷺ، والحذر من محدثات الأمور، «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها»، ثم قال: «وعليكم بالجماعة».

هذا أيضاً من أسباب النجاة، أن المسلم عند ظهور الافتراق والاختلاف، والجماعات المتنوعة، يكون مع جماعة المسلمين، الجماعة التي كانت تسير على خطى الرسول ﷺ، وعلى منهج الرسول ﷺ، لا يسير على منهج المتكلمين، أو الجدليين، أو المبتدعين، وإن تَسَمَّوا بأسماء براقة خداعة، إلا أنها لا تغر أهل الإيمان، فأهل الإيمان يأخذون بما أوصى به الرسول ﷺ: «وعليكم بالجماعة» جماعة المسلمين، وهذا مثل قوله ﷺ في حديث افتراق الأمة، قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار

إلا واحدة» قيل: من هي يارسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، هذا مثل قوله: «وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة»، فالجماعة: هي التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ولو كانت قليلة، ليس من شرط الجماعة أن تكون كثيرة، بل من شرطها أن تكون على الحق، ولو كانت قليلة، والكثرة ليست دليلاً على الحق، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[1].

ما داموا يتبعون الظن فإنهم يضلون عن سبيل الله، ولو كانوا آلاف الألوف، أو مئات الألوف، أما من كان على الحق فإنه هو الجماعة، وهو الفرقة الناجية المنصورة، وهو الطائفة المنصورة، مادام أنه على الحق ولو كان واحداً أو عدداً قليلاً، هم الفرقة الناجية، وهم الطائفة المنصورة، وهم أهل السنة والجماعة، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.

ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»، ولكن هذا يحتاج إلى صبر. فالتمسك بما عليه الرسول ﷺ؛ والتمسك بما عليه الجماعة، الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، يحتاج إلى صبر، خصوصاً في آخر الزمان؛ لأنه في آخر الزمان المتمسك بسنة الرسول ﷺ، الملازم لجماعة المسلمين، يلقى مشقة عظيمة، كما جاء في الحديث (أنه يحصل في آخر الزمان فتن، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر، أو على خبط الشوك)، يحتاج إلى صبر، وقال ﷺ: «المتمسك بسنتي، عند فساد أمتي، له أجر خمسين»، قالوا: منا أو منهم يارسول الله؟ قال: «بل منكم» يعني: من الصحابة؛ لأن الصحابة كانوا مع الرسول ﷺ، وكان المناصر لهم كثيراً، لكن المتمسك بالسنة في آخر الزمان، وعند ظهور الفتن، ليس له أنصار، بل أكثر الناس أضداد له، حتى من الذين يدَّعُون أنهم على الإسلام يكونون أضداداً له، يخجلونه ويوبخونه ويخطئونه، فيحتاج إلى صبر؛ فلذلك صار له هذا الأجر العظيم؛ بسبب ثباته على الحق عند ظهور الفتن وكثرة العوارض، ووصفهم رسول الله

ﷺ بـ: الغرباء، قال: «طوبى للغرباء»، قالوا: من هم يارسول الله؟ قال: «الذين يَصْلحُون إذا فسد الناس»، وفي رواية: «يُصْلِحُون ما أفسد الناس»، فهذا يطلعنا على أمر عظيم سيحصل في آخر الزمان، فعلينا أن نسأل الله سبحانه وتعالى الثبات، والوفاة على الإسلام، وعلينا مع ذلك أن نَجِدّ في معرفة الحق وأهله، ومعرفة الباطل وأهله؛ حتى نكون مع الحق ومع أهله، ونحذر من الباطل وأهله، وذلك إنما يحتاج إلى الفقه في الدين.

هذا لا يتأتى من جاهل، إنما يتأتى ممن رزقه الله الفقه في الدين، والبصيرة بالعلم النافع، الذي يميز به بين الهدى والضلال، وبين الغي والرشد، وبين الحق والباطل. فالنجاة من هذه الفتن العظيمة عزيزة؛ وأنتم ترون الآن ما يموج به العالم من فتن عظيمة.

من الفتن: أن العالم الآن تقارب، فصار ما يحدث في أقصاه يصل إلى أقصاه بسرعة، ينتقل ما يحدث من الشر، ومن الفسوق والمعاصي - ينتقل بواسطة الوسائل الحادثة الآن، حتى يدخل في البيوت المغلقة، وحتى يصل إلى

البادية في البر، في بيوت الشعر، بواسطة هذه الوسائل؛ وينظرونه كأنهم حاضرون في المكان الذي حدث فيه. لا، بل قد يكون أوضح من المكان الذي حدث فيه هذا الشر.

هذا من الابتلاء والامتحان، يموج العالم الآن بالفتن فتن الشهوات، وما أكثرها، وفتن الشبهات والضلالات والإلحاد، وما أكثر ذلك! وكل هذا يصدَّر إلى العالم، أقصاه وشرقه وغربه، جنوبه وشماله، إلا من رحم الله سبحانه وتعالى. هذا يحتاج من الإنسان إلى بصيرة، يحتاج إلى أخذ الحيطة، يحتاج إلى معرفة هذه الأضرار الوافدة؛ حتى يتجنبها، أما الإنسان الذي ليس عنده بصيرة، وليس عنده علم، وليس عنده فقه، ربما يعتبر هذا من الرقي ومن التقدم. بعضهم يعتبر هذا من النعم، وأن هذه وسائل ثقافة، ووسائل رفاهية، وما يدري ما ينطوي عليه هذا الأمر من الخطورة، وما يحمله من الشر.

فالأمر عظيم جداً، والفتن الآن ـ كما ترونها ـ تعرض على الناس، تعرض على القلوب، كما قال ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه

نكتة سوداء، حتى يصبح قلباً مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما وافق هواه ـ أو ـ وما أشرب من هواه، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، فهو قلب لا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض».

فالفتن هذه تعرض على قلوب الناس، فأي قلب أنكرها؟ ولكن القلب الذي ينكرها هو القلب الفقيه المتفقه في كتاب الله عز وجل، الذي يعرف حكم الله في هذه الأمور، أما الجاهل فقد تنطلي عليه، وقد يعجب بها، ويعتبرها من الحضارة والرقي، وأن الابتعاد عنها يعتبر من الجفاء والجلافة كما يقولون.

والحق: إنه لا عاصم من هذه الفتن إلا ما جعله الله سبحانه وتعالى عاصماً منها، وهو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ١.

مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾[٢].

وقال سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة ـ التي هي ثانية سورة في المصحف الشريف ـ قال تعالى: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٣]، ذكر الله في مطلع هذه السورة أن هذا القرآن هدىً للمتقين، للمتقين خاصة، ثم بَيَّنَهُم، بيّن من هم المتقون؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣.
(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٩، ١٠.
(٣) سورة البقرة، الآيات ١ ـ ٥.

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[١] ثم حكم لهم بالفلاح والهداية، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، ثم ذكر الصنف الثاني: وهم الكفار، والصنف الثالث: وهم المنافقون.

ذكر الله سبحانه وتعالى: أن البشر عند هذا القرآن ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً، وهم: المتقون، وذكر الله من أوصافهم ما ذكر.

ثم ذكر القسم الثاني: وهم الذين كفروا بهذا الكتاب ظاهراً وباطناً، وهم الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٢]، هؤلاء كفروا بالقرآن باطناً وظاهراً؛ فختم الله على قلوبهم؛ عقوبة لهم، فأصبحت لا تقبل الحق بعد ذلك.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٣، ٤.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٦، ٧.

والقسم الثالث: الذين آمنوا بالقرآن ظاهراً وكفروا به باطناً، وهم: المنافقون، وذكر الله فيهم بضع عشرة آية: من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ . . . إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

الحاصل: أن كتاب الله فيه الهدى والنور، يحتاج منا إلى تدبر، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]، فمن يريد النجاة من هذه الفتن فعليه بكتاب الله عز وجل، عليه بكتاب الله، ماذا؟ يجعله عنده؟ يشتري المصحف يجعله عنده!!؟

عليه أن يقرأه ويعمل بما فيه؛ فهو المصدر الأول للهداية والنجاة من الشرور في الدنيا والآخرة، في هذا القرآن العظيم تدبره، الإكثار من تلاوته، الإكثار من العمل به؛ من أجل أن يكون واقياً لك من هذه الفتن والشرور.

---

(١) سورة البقرة، الآيات ٨ ـ ٢٠.

(٢) سورة ص، الآية ٢٩.

وكذلك سنة الرسول ﷺ؛ لأنها تفسر هذا القرآن، وتبينه، وتوضحه، وتدل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، والنبي ﷺ يقول: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وسنتي»، هذا الأمانة والضمانة من الفتن لمن تمسك بهما.

وأخبر ﷺ في أحاديث: «إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بِعَرَض من الدنيا»، يبيع دينه بعرض من الدنيا: يؤثر الدنيا على الآخرة؛ فينساق مع الدنيا: يترك الصلاة، يمنع الزكاة، يعصي الله ورسوله، ويطيع الشيطان وأعوان الشيطان؛ فيبيع دينه بعرض من الدنيا. نسأل الله العافية من هذه الفتن العظيمة.

والفتن تشتد، كلما تأخر الزمان تشتد الفتن، إلى أن تأتي الفتن الكبار المتتابعة إلى أن تقوم الساعة. فالإنسان يعايش

---

(١) سورة النجم، الآيتان ٣، ٤.

الفتن في هذه الدنيا، يعايشها خصوصاً أهل آخر الزمان أكثر معايشةً للفتن، وتكون الفتن في عهدهم أكثر؛ لقرب قيام الساعة ونهاية الدنيا.

فالإنسان يعايش الفتن حتى عند الموت. الإنسان يفتتن حتى عند الموت، وقد يختم له بخاتمة طيبة، وقد يختم له بخاتمة سيئة والعياذ بالله، وكذلك يفتتن حتى في القبر، إذا وضع في قبره يفتتن: يأتيه ملكان فيقعدانه، ويسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ والسعادة والشقاوة تتوقف على الجواب. فإن قال: ربي الله، والإسلام ديني، ونبيي محمد ﷺ، فإنه ينادي منادٍ: أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيفتح له من الجنة، ويأتيه من روحها وطيبها، وينظر إلى مساكنه في الجنة، ويقول: يارب، أقم الساعة؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي، وأما إذا لم يستطع الجواب فإنه يقول: هاه، عند كل سؤال يقول: هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ما كان يعمل عن اقتناع وعن إيمان، وإنما كان يوافق الناس تقليداً فقط، أو من أجل طمع الدنيا، منافق: يظهر الإيمان،

ويبطن الكفر، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، وهو ما يدري. فينادي مناد: أن كذب عبدي، فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، والأول يوسع له في قبره مد بصره، وينظرُ إلى مكانه في النار، ويقول: يارب، لا تقم الساعة؛ ابتلاء وامتحان حتى في القبر.

فالعبد ابن آدم معرض للفتن؛ في حياته، وعند مماته، وفي قبره، ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

(٢) سورة فصلت، الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾[1]، يعني: بسبب صبركم على دينكم، وثباتكم على الحق في الحياة الدنيا، نلتم هذه الكرامة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، ما حَصَّلوا هذا الشيء عفواً، إنما حَصَّلُوه نتيجة صبر وثبات، وإيمان بالله ورسوله، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وأما الكافر ـ والعياذ بالله ـ فيقول الله تبارك وتعالى عنه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

---

(١) سورة الرعد، الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٥٠، ٥١.

شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1].

فالإنسان يعايش الفتن إلى آخر لحظة من حياته، بل وعند وضعه في قبره، فالأمر يحتاج إلى اهتمام، الفتن عظيمة، والنجاة أولاً بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، لكن لا يحصل التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلا بالتفقه في دين الله عز وجل، فالتفقه في دين الله لا يحصل عفواً وأمانيّ، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2].

العلم لا يحصل بكثرة القراءة أو كثرة الكتب، أو كثرة المطالعة، لا يحصل العلم بهذا. إنما يحصل العلم بالتعلم على أهل العلم، وتلقي العلم عن العلماء.

فالعلم بالتلقي لا تلقائيا، كما يظن بعض الناس اليوم، بعض الناس اليوم يقتنون كتباً، ويقرأون في كتب الحديث،

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٩٣ ، ٩٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٧٨.

والجرح والتعديل، والتفسير، وكذا وكذا، ويزعمون أنهم بذلك حصلوا على علم. لا، هذا علم لم يُبْنَ على أساس ولا على قواعد؛ لأنه لم يتلق عن أهل العلم، فلابد من الجلوس في حلق الذكر وفي فصول الدراسة عند المعلمين الفقهاء العلماء، ولابد من الصبر على طلب العلم.

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة
تجرع كأس الجهل طول حياته

لابد من الصبر، والعلم لا يحصل بالقراءة، ولا يحصل تلقائياً، وإنما يحصل تَلَقِّياً على أيدي العلماء الصالحين، الفقهاء العارفين، الذين يبصرون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فلابد من الانتظام في سلك التعلم، ولابد من أخذ العلم من أبوابه والدخول من الأبواب، كما قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾[1]. فالعلم له أبواب، وله حَمَلَة، وله معلمون، فلابد - أيها الإخوان - من انضمامكم لحلق

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

التدريس، سواء كانت في المساجد، أو في المدارس، أو في المعاهد، أو في الكليات. المهم أن نأخذ العلم عن العلماء، ماداموا موجودين ومادامت الفرصة ممكنة.

أما أن نتفرق وكل واحد يجلس في غرفة، ويجعل مكتبة ويطالع فيها؛ وهو لم يبن على أساس، ولم يتعلم قواعد العلم، فهذا يضيع، فلابد من التفقه في دين الله على أيدي الفقهاء.

كذلك - كما أشرنا - من أسباب النجاة: لزوم جماعة المسلمين، والابتعاد عن الانتماء إلى الفرق والجماعات المخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة؛ لأن الرسول ﷺ يقول في الفرقة الناجية: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، الذين اتبعوهم بإحسان: اتبعوا السابقين الأولين، ويقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠.

مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾(١) يعني: بعد المهاجرين والأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

أما إذا افترق الإنسان مع الفرق المخالفة، وصار يسب الصحابة، أو يُجَهِّل العلماء، أو يجهل الأئمة أو يغلطهم، فهذا لن يصل إلا إلى الضلال إلا إن تداركه الله برحمته، وتاب إلى الله، وعاد إلى جماعة المسلمين والفرقة الناجية، ليس هناك إلا فرقة واحدة هي الناجية، قال رسول الله ﷺ في الفرق الثلاث والسبعين: «كلها في النار»، وكونها في النار يختلف باختلاف ابتعادها عن الحق، فمنهم من هو كافر، ومنهم من هو ضال، ومنهم من هو فاسق، المهم أن الكل منهم متوعد بالنار إلا فرقة واحدة، قالوا: من هي يارسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، الطريق واحد والجماعة واحدة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا

---

(١) سورة الحشر، الآية ١٠.

صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾[١] صراط واحد فقط، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾، السبل الضالة كثيرة ليس لها عدد. والآن ترى الفرق والجماعات كثيرة ليس لها عدد، لكن جماعة أهل السنة والجماعة واحدة، من عهد النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» نعم، سيكون هناك من يُهَوّن من شأنهم، من يُجَهّلهم، من يستغفلهم، من يقول: هؤلاء ناس صالحون، ولكن ما يعرفون الواقع ولا يعرفون كذا. كل هذا يجب على المسلم أن لا يلتفت إليه «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، لا نجاة إلا بهذا: لزوم جماعة المسلمين.

«**وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة**»، والنبي ﷺ في أكثر من حديث حثنا على أن نكون مع الجماعة المتمسكة بطريقة النبي ﷺ وطريقة أصحابه، وطريقة سلف

---

١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

هذه الأمة؛ لأن سلف هذه الأمة هم أدرى وأقرب إلى الحق ممن جاء بعدهم؛ ولهذا أثنى ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، قال: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال الراوي: لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. ثم أخبر ﷺ أن الأمر سيتغير بعد هذه القرون، وأن الأمر سيحدث فيه ما يحدث، وقد وقع ما أخبر به ﷺ، فبعد انتهاء عهد القرون المفضلة حصل في الأمة ما حصل من الفتن، ومن الدخيل، ومن المذاهب المختلفة، ولم يبق على الحق إلا جماعة المسلمين الذين تمسكوا بما كان عليه السلف الصالح، ودعاة التجديد الذين يجددون هذا الدين لهذه الأمة، ومن تبعهم وسار على نهجهم، وهذا من نعم الله أن الخير يوجد، مهما كثر الشر فإن الخير يوجد؛ من أجل أن يرجع إليه من أراده، ولأجل أن تقوم حجة الله جل وعلا على خلقه، فمهما كثرت الفتن ومهما كثرت الشرور، إلا أن الحق موجود والحمد لله.

لا نقول: إن الأمة الإسلامية غائبة، كما يقول بعض الكتاب، أو بعض الخطباء، الأمة الإسلامية موجودة ولله

الحمد «لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين» لكن الشأن بالرجوع إليها والانضمام لها.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم ممن يعرفون الحق ويعملون به ويتمسكون به.

بقيت نقطة أخيرة في الموضوع: وهي أن من أسباب النجاة من الفتن - أيضاً - كثرة الدعاء، وأن المسلم يكثر من الدعاء، بأن يحميه الله من الفتن، فقد قال ﷺ: «استعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن»، وكان ﷺ في التشهد الأخير يستعيذ بالله من أربع، ويأمر بذلك، يقول: «استعيذوا بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء: أن يقيه الله من شر الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يُلِحّ على الله سبحانه وتعالى ويكثر من الدعاء، فإن الله سبحانه وتعالى قريب مجيب، من لجأ إليه حماه، ومن استعاذ به أعاذه، ومن دعاه استجاب له، وهو ينزل - سبحانه وتعالى - كل ليلة إلى سماء

الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويقول: هل من سائل فأعطيه، هل من داع، فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، وقد فتح بابه ـ سبحانه وتعالى ـ للسائلين، الليل والنهار، ولكن هذه زيادة، زيادة فرصة يعطيها الله لعباده؛ رحمةً بهم.

فالمسلم يكثر من دعاء الله عز وجل في كل وقت، ولاسيما في الحالات الفاضلة، والأوقات الفاضلة. الحالات الفاضلة؛ كالسجود، قال ﷺ: «وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم»، وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»، أو كما قال ﷺ، وفي الأوقات الفاضلة مثل: آخر الليل ـ ثلث الليل الآخر ـ وآخر ساعة من يوم الجمعة، وأدبار الصلوات.

الإنسان يلح على الله ولا يغفل، لا يغفل عن الدعاء، خصوصاً طلب النجاة من الفتن؛ لأنه إذا سلم من الفتن فإنه سَلِمَ من كل شر، إذا سلم من الفتن سلم دينه، وإذا سلم دينه سلمت عاقبته.

وعلى كل حال: الفتن كثيرة وتتنوع، والدعاة إلى الفتن

أيضاً يكثرون، ويتدرّبون ويُدرّبون، كما قال ﷺ: «قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، دعاة الفتن يتكلمون بألسنتنا، وهم من جلدتنا من العرب أكثرهم، أو من أقاربنا أيضاً. فعلى الإنسان أن يحذر ولا يغتر. كل من دعا إلى ضلالة أو مخالفة الكتاب والسنة فاحذره، ولو كان أقرب الناس إليك، وأخبر ﷺ أن السبل المخالفة لصراط الله على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليه، شياطين الإنس، وشياطين الجن يدعون إلى الضلالة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾[1]. والشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، فهناك دعاة علينا أن نحذر منهم، وأن نحذر من شبههم، وعلينا أن نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى أهل العلم؛ نسأل عما أشكل علينا، قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2]، ونحن نسأل الله في كل ركعة من صلاتنا حينما نقرأ فاتحة الكتاب

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢١.
(٢) سورة النحل، الآية ٤٣، وسورة الأنبياء، الآية ٧.

التي هي ركن من أركان الصلاة، قراءتها ركن من أركان الصلاة، قال الله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1].

نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وطريق أهل الضلال، المغضوب عليهم: هم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، والضالون: هم الذين يعملون بدون علم. والمنعم عليهم: هم أهل العلم والعمل، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2].

فمن وفق لصراط الله صارت رفقته هؤلاء الأخيار، ومن حاد عن صراط الله صارت رفقته المغضوب عليهم والضالين. نسأل الله العافية.

---

(١) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧.
(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

هناك كلمة قالها إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، وهي كلمة عظيمة ينبغي للمسلم أن يتبصر بها ويتأملها، قال رحمه الله: (لا يُصْلِح آخر هذه الأمة إلا ما أَصْلَح أولها).

ما هو الذي أصلح أولها؟ هو الكتاب والسنة، واتباع الرسول ﷺ، كذلك آخر هذه الأمة حينما يكثر الشر والضلال والفرق والجماعات، لا يصلحها إلا ما أصلح الجيل الأول، وهو موجود ولله الحمد، الذي أصلح الجيل الأول موجود بين أيدينا، وهو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والرجوع إلى العلماء المختصين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ليبينوا لنا ما أشكل علينا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وأسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يجنبنا وإياكم طريق المغضوب عليهم والضالين من أصحاب الجحيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تعليق سماحة الشيخ
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
على المحاضرة (التفقه في الدين)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

أما بعد:

فقد استمعتم إلى هذه المحاضرة القيمة التي ألقاها صاحب الفضيلة الشيخ: صالح الفوزان في موضوع عظيم جدير بالعناية، وهو موضوع التفقه في الدين، والسير على منهج سلف الأمة من الصحابة وأتباعهم بإحسان، وتلقي ذلك عن أهل العلم والإيمان من أهل السنة والجماعة.

ولقد أجاد وأفاد - ضاعف الله مثوبته - وأبان ما ينبغي بيانه في هذا الموضوع العظيم، وإني أؤيد ما ذكره فضيلته في هذا المقام، فكل مؤمن وكل مؤمنة في هذه الدنيا في أشد

الحاجة إلى التفقه في الدين والتبصر؛ حتى يعلم حكم الله في جميع أعمال المكلفين، وحتى يسير على بصيرة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتفقه في الدين: بالعناية بكتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، كما تفقه من قبلنا من الصحابة ومن بعدهم.

سبيل السعادة وسبيل النجاة: هو السبيل الذي سلكه المؤمنون السابقون من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، فصراط الله: هو العلم والعمل، هو العلم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ والعمل بهما، هذا هو العلم، وهذا هو الصراط، وهذا هو الهدى، وهذا هو الإسلام، وهذا هو البر، وهذا هو التقوى؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2]، علمنا ربنا أن نطلب هذا الأمر، أن نطلب

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) سورة الفاتحة، الآية ٦.

منه الهداية إلى صراطه المستقيم، وصراطه المستقيم: هو العلم بما جاء به رسوله، والعمل بذلك. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فسره بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وهم: أهل العلم بما قاله الله ورسوله، وأهل العمل بذلك، وهم الصحابة. أصحاب النبي ﷺ، ثم من بعدهم من أتباعهم بإحسان، وعلى رأسهم القرون الثلاثة: قرن الصحابة، ثم قرن التابعين، ثم أتباع التابعين؛ لقوله عليه الصلاة والسلام. «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» الحديث.

ولا سبيل إلى معرفة هذا الأمر إلا بالتفقه في الدين، والعناية بالقرآن العظيم والسنة المطهرة، وتلقي ذلك عن أهل العلم الذين اتبعوا الكتاب والسنة وعظموهما، وساروا عليهما.

فالعلم: قال الله عزوجل، وقال رسوله ﷺ، وقال الصحابة، ليس العلم: رأي فلان ورأي فلان، ولابد من تلقي العلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن حملة هذا العلم وهم أهل السنة والجماعة، السائرون على نهج الصحابة وأتباعهم بإحسان.

ولهذا يقول جل وعلا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(١)، ثم بين الطرق الأخرى الضالة التي يجب الحذر منها، فقال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فالمغضوب عليهم: هم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه؛ كاليهود وأشباههم، والضالون: هم الذين ساروا على جهالة وضلالة على غير علم؛ كالنصارى وغيرهم، فالمنعم عليهم والمؤمنون الصادقون، أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية: هم الذين عرفوا الحق وعملوا به؛ بأدلته الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب الصراط المستقيم، وهم المنعم عليهم، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وهم المراد في قوله جل وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(٢)، وهم المراد في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى

---

(١) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

نَعِيمٍ﴾[١]، وهم المراد في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٢].

فالواجب على جميع المسلمين - رجالاً ونساءً هو السير على هذا المنهج، والتفقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من طريق علماء الحق، مثل ما قال مالك بن أنس - رحمه الله - إمام دار الهجرة في زمانه، كلمة قالها سمعتموها، وتبعه أهل العلم، فقالها أهل العلم بعده وهي: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)، والذي أصلح أولها: هو تمسكهم بكتاب الله، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وسيرهم على ذلك، والتواصي بذلك، والتعاون في ذلك،

---

(١) سورة الانفطار، الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

هذا هو الذي ساروا عليه، وهو الذي أصلحهم الله به، ولن يصلح آخرهم إلا ذلك.

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه ـ الذي أشار إليه المحاضر الشيخ صالح ـ سأل عنه الرسول ﷺ، قال رضي الله عنه: كان الناس يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، قلت: يارسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، تعرف أشياء وتنكر أشياء، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها»، قلت: يارسول الله، صفهم لنا، قال: «قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، هم دعاة على أبواب جهنم، ألسنة عربية، ويترجمها الآخرون إلى اللغات الأخرى، قلت: يارسول الله، ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، جماعة المسلمين: الذين

ساروا على نهج الصحابة، الذين وصفهم ﷺ بما تقدم، قال: قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين، وسأل عمرو بن ميمون ـ التابعي الجليل ـ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن الجماعة، فقال له عبدالله: (الجماعة: ما وافق الحق، وإن كنت وحدك)، إذا وافقت الحق فأنت الجماعة، فالجماعة: ما وافق الحق وإن كنت وحدك، فالجماعة: هم الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله، ويسيرون على نهج السلف الصالح؛ من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية التي قال فيها النبي ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»، وفي رواية أخرى قال: «هم الجماعة»، هي الجماعة، الفرقة الناجية: هي الجماعة؛ لأنها هي التي اجتمعت على الحق وسارت عليه، من عهده ﷺ وبعده،

هؤلاء هم الفرقة الناجية، وهم المراد في قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]، وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً مستقيماً، وقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه السبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾. فالفرقة الناجية: هم أهل السنة والجماعة، هم الطائفة المنصورة، شيء واحد، رجالهم ونساؤهم، وعلماؤهم وعامتهم، هم الفرقة الناجية، السائرون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ من الجن والإنس، من العرب والعجم، من الرجال والنساء من جميع الطبقات، هم أهل السنة والجماعة، هم الفرقة الناجية وإن تفاوتوا في العلم والفضل، وقول بعض السلف: (إنهم أهل الحديث)، وقول بعضهم: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣

هم؟!)، وقول بعض السلف: (إنهم العلماء)، ليس معنى أنهم طائفة أخرى. العلماء هم رؤوسهم، وأهل الحديث هم رؤوسهم، وأئمتهم: الصحابة. أصحاب النبي ﷺ هم الأئمة، ثم يليهم أئمة الحديث، وفقهاء الأمة وعلماؤهم هم الأئمة، وهم القدوة، هم الذين يُوَضِّحُون الطريق للناس.

وقول بعض العلماء: (إنهم أهل الحديث)، وقولهم: (إنهم العلماء) ليس معناه: أنهم طائفة أخرى. هم أهل الحديث، وهم العلماء، وهم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن سار على نهجهم، ومن تابعهم وسار على طريقهم. هم الفرقة الناجية، لكن أخصهم وأفضلهم وأئمتهم: هم أئمة الحديث، الذين علموا الناس الخير، وهدوهم إليه، وأرشدوهم إليه، أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم من السلف، وهم العلماء: علماء الحق الذين عرفوا الحق وعملوا به ودعوا إليه. هم أئمة الفرقة، هم رؤساؤها، هم قادتها، ويدخل فيهم أتباعهم العامة التابعين لهم؛ من زوجاتهم، وأمهاتهم، وبناتهم، وإخوانهم، وسائر نساء أهل سبيلهم من المسلمين، وإن كانوا عامة،

وإن كانوا ليسوا علماء، هم داخلون في هذه الفرقة إذا ساروا على نهجهم، وتابعوهم بالحق، واستقاموا على دين الله.

أما المخالفون فهم طوائف لا تحصى، ثنتان وسبعون، كلها ترجع إلى ثنتين وسبعين فرقة ما بين كافر وبين مبتدع وضال، أقسام: فيهم الكافر، وفيهم غير الكافر، لكنهم متوعدون بالنار؛ لكونهم حادوا عن الطريق السوي؛ لأنهم خالفوا الحق في أشياء، فمنهم من خرج عن الإسلام، ومنهم من لم يخرج، لكن صار ببدعته على خطر عظيم، أو بمعصيته على خطر عظيم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» متفق على صحته من حديث معاوية رضي الله عنه، فمن علامات الخير وأن الله أراد بالعبد خيراً، رجلاً كان أو امرأة، عربياً أو عجمياً ـ من علامات أن الله أراد به الخير: أن يتفقه في الدين، من طريق القرآن والسنة، هذا التفقه في الدين، ومن طريق أهل العلم بالكتاب والسنة، لا من طريق أهل البدع والجهلة، من طريق أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، إذا رأيت الرجل والمرأة ـ العربي أو العجمي ـ إذا رأيته يتفقه

في الدين، يسأل عما قاله الله ورسوله، ويحرص على هذا الشيء ويجتهد، فاعلم أن الله أراد به خيراً، ومن علامات الخير، وإذا رأيته معرضاً غير راغب في الكتاب والسنة، غير سائر على ما تضمنه الكتاب والسنة، فهذه الدلالة العظيمة الواضحة على أن الله ما أراد به خيراً. نسأل الله العافية.

ويقول النبي ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**»، ويقول: «**العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم**»، فالعلم بكتاب الله وسنة رسوله، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

فالواجب على طالب العلم وعلى كل مسلم وكل مسلمة التفقه في الدين، وأن يتعلم ما لا يسعه جهله، مما أوجب الله عليه ومما حرم الله عليه.

يقول الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1]، يعني: بدين الله، ويقول جل وعلا: ﴿وَمَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

﴿ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(١)، ليس إلى زيد أو إلى عمرو، ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى الكتاب والسنة، كما في الآية الأخرى ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٢).

يجب الرد إلى القرآن، إلى ما فيه من الآيات الكريمات، كما بينه الله فيها، وفيه الهدى والنور، وفيه الدلالة على كل خير، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٣)، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾(٤)، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾(٥)، أحال عليه؛ لأنه بيِّن، لولا أن فيه العلم والهدى ما أحال عليه سبحانه وتعالى، فيه الهدى والنور، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، وقال تعالى:

---

(١) سورة الشورى، الآية ١٠.
(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٩.
(٤) سورة فصلت، الآية ٤٤.
(٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ للطريقة التي هي أقوم الطرق وأهداها، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾[1]، فالمصيبة هي الإعراض والغفلة وعدم التدبر، وإلا ففي القرآن الهدى والنور، وفي السنة إيضاح ما أشكل، السنة الصحيحة عن النبي ﷺ إيضاح ما أشكل، وبيان ما قد يخفى، كما قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2]، وقال ﷺ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

من علامات أهل الخير وأهل الحق، تتبع القرآن والسنة، والاهتداء بالقرآن والسنة، والأخذ بالأمر الواضح، والتمسك بذلك والسير عليه، وسؤال أهل العلم: علماء أهل السنة، يقول ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترُك عالماً اتخذ الناس رُؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير

---

(١) سورة ص، الآية ٢٩.
(٢) سورة النحل، الآية ٤٤.

علم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»[١]، هذه النهاية، نسأل الله العافية، مثلما قال في حديث حذيفة: قال: «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، فاعتزل تلك الفرق كلها».

فطالب العلم يتفقه في الدين من طريق الكتاب والسنة، ويسأل أهل العلم بالكتاب والسنة عما أشكل عليه بصدق وإخلاص، وَقَصْدٍ صالح، ونيةٍ طيبة؛ حتى يُهْدَى، حتى يوفق، قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». من طلب الحق بِنِيَّةٍ صالحة وَفَّقَه الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، لكن من أعرض، أعرض الله عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[٤]، إذا أعرض وغفل ولم يبالِ فمن عدل الله أن يضله، وأن يُوَلِّهِ ما تولى؛

---

(١) رواه الإمام مسلم.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
(٣) سورة الصف، الآية ٥.
(٤) سورة الكهف، الآية ٥٧.

لظلمه وجهله وإعراضه، أما من أقبل على الله وطلب الهداية منه وصدق في ذلك فالله يهديه ويوفقه. فَاجْتَهِدْ يا عبدالله في الضراعة إليه بصدق أن يمنحك التوفيق، وأن يهديك صراطه المستقيم، وأن يعلمك ما ينفعك، وأن يقيك شر نفسك وهواك، يقول جل وعلا: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(١)، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٢)، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته في الدنيا، وإما أن تُدَّخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك» قيل: يارسول الله، إذن نكثر، قال: «الله أكثر».

ويتحرى الأوقات المناسبة التي ترجى فيها الإجابة، مثل ما سمعتم في المحاضرة، ومثل آخر الليل وقت التنزل الإلـهي، جوف الليل الآخر، وآخر الصلاة قبل السلام،

---

(١) سورة غافر، الآية ٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

يقول فيه النبي ﷺ: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو» في آخر الصلاة، في السجود، يقول ﷺ: «... فأما الركوع فَعَظِّمُوا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ أن يُسْتَجَاب لكم»، يعني: حري أن يستجاب لكم، رواه مسلم في الصحيح، ويقول عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء» رواه مسلم أيضاً.

ينبغي الدعاء في السجود، ولاسيما في التهجد، وفي الفريضة أيضاً، تدعو ربك في الفريضة وفي النافلة، في سجودك، وفي آخر الصلاة، تسأل خير الدنيا والآخرة، وأهم شيء ما فيه صلاح قلبك، وما فيه هدايتك، وفي التهجد، وفي آخر الليل، في إمكانك تطول السجود، وفي إمكانك تطول الدعاء. وهكذا في آخر نهار الجمعة بعد العصر، هكذا وقت الخطبة يوم الجمعة من حين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن تُقْضَى الصلاة، كلها أوقات إجابة، بين الأذان والإقامة وقت إجابة. يتحرى المؤمن ثم يحرص على أكل الحلال، الطعام الحلال، اللباس الحلال، يتحرى

الكسب الحلال؛ لأن الكسب الحرام من أسباب منع الإجابة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. والمعاصي من أسباب منع الإجابة. والإعراض عن الله والغفلة وعدم المبالاة من أسباب منع الإجابة.

المؤمن يقبل على الله صادقاً مخلصاً، راغباً في الحق، يعلم الله من قلبه الرغبة في الحق والصدق في طلب الحق، ولا ييأس، بل يلح في الدعاء ويجتهد في الدعاء في جميع الأوقات، ويتحرى أوقات الإجابة بصدق ورغبة، ويحذر أسباب الحرمان من المعاصي، وأكل الحرام، والغفلة عن الله، والدعاء بقلب معرض غافل، يقبل على الله صادقاً مجتهداً، طالباً للحق، ويصحب أهل الخير، ويصاحب أهل الخير ويجتهد في صحبتهم، وأن يكون معهم، ويحذر صحبة الأشرار، فبئس الجلساء، ويحرص على صحبة الأخيار، أهل العلم والعمل، أهل التقوى، أهل الدين، يحرص على صحبتهم، والمخالطة لهم، والاستفادة منهم.

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين، وأن يعيذنا

جميعاً والمسلمين جميعاً من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح قلوبهم وأعمالهم وبطانتهم، وأن يوفقهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يعينهم على إزالة كل ما يخالف شرع الله في أرض الله، وأن يوفق قادة المسلمين في كل مكان.

نسأل الله أن يوفق قادة المسلمين في كل مكان لما يرضيه، وأن يعينهم على تحكيم شريعته والتحاكم إليها، والاستقامة عليها، وإلزام الشعوب بها، كما أسأله سبحانه أيضاً أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يعينهم على طاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يعيذهم من طاعة الهوى والشيطان، إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

أسئلة ألقيت على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بعد تعليقه على محاضرة (الفقه في الدين)

س ١ : ما المراد بطاعة ولاة الأمر في الآية، هل هم العلماء أم الحكام، ولو كانوا ظالمين لأنفسهم ولشعوبهم؟

ج١ : يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

أولوا الأمر: هم العلماء والأمراء، أمراء المسلمين وعلماؤهم، هم أولوا الأمر، يطاعون في طاعة الله إذا أمروا بطاعة الله وما ليس معصيةً لله.

فالعالم والأمير يطاعون؛ لأن بهذا تستقيم الأحوال

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

ويحصل الأمن، وتنفذ الأوامر، وينصف المظلوم، ويردع الظالم، أما إذا لم يطاعوا فسدت الأمور ومرجت الأمور وأكل القوي الضعيف.

فالواجب أن يطاعوا في طاعة الله، في المعروف، سواء كانوا أمراء أو علماء؛ العالم يبين حكم الله والأمير ينفذ حكم الله، هذا هو الصواب في أولي الأمر، هم العلماء بالله وبشرعه، وهم أمراء المسلمين، عليهم أن ينفذوا أمر الله، وعلى الرعية أن تسمع لعلمائها في الحق، وأن تسمع لأمرائها في المعروف؛ أما إذا أمروا بمعصية، سواء كان أميراً أو عالماً أمر بمعصية ما يطاع، إذا قال الأمير لك: اشرب الخمر، لا تطعه، إذا قال لك: عُقَّ والدك، لا تعق والدك، إذا قال: كل الربا، لا تأكل الربا.. وهكذا مع العالم إذا قال لك معصية، والعالم بالشرع ما يقول هذا، لكن قد يكون عالماً فاسقاً.

المقصود: العالم إذا أمرك بشيء من معاصي الله فلا تطعه في معاصي الله؛ إنما الطاعة في المعروف، يقول النبي ﷺ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، لكن لا يجوز

الخروج على الأئمة وإن عصوا، يجب السمع والطاعة في المعروف، ولكن لا تطعه في المعصية، ولا تنزعن يداً من طاعة، يقول النبي ﷺ: «على المرء السمع والطاعة في المنشط والمكره، وفي ما أَحَبَّ وكَرِه، ما لم يؤمر بمعصية الله، فإن أُمِرَ بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته ميتةٌ جاهليةٌ»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من رأى من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة، فإنه من فارق الجماعة مات ميتةً جاهليةً»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم، ويشق عصاكم فاقتلوه، كائناً من كان».

فالمقصود: أن الواجب السمع والطاعة في المعروف لولاة الأمور من الأمراء والعلماء، بهذا تنتظم الأمور، وتصلح الأحوال، ويأمن الناس، ويُنْصَف المظلوم، ويُرْدَع الظالم، وتُؤمَن السبل، ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصا، إلا إذا وجد منهم كفرٌ بواحٌ عند الخارجين من

الله فيه برهان، ويستطيعون بخروجهم أن ينفعوا المسلمين، وأن يزيلوا الظلم، وأن يقيموا دولةً صالحة. أما إذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج ولو رأوا كفراً بواحاً؛ لأن خروجهم يضر الناس، ويفسد الأمة، ويوجب الفتنة والقتل بغير حق، ولكن إذا كان عندهم القدرة، وعندهم القوة على أن يزيلوا هذا الظالم، هذا الوالي الكافر أن يزيلوه، ويضعوا مكانه والياً صالحاً ينفذ أمر الله، فعليهم ذلك إذا وجدوا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، وعندهم قدرة على إيجاد الحق، وإيجاد البديل الصالح وتنفيذ الحق.

س ٢: ما حكم سن القوانين الوضعية؟ وهل يجوز العمل بها، وهل يُكَفَّر الحاكم بسنه لهذه القوانين؟

ج ٢: إذا كان القانون يوافق الشرع فلا بأس، إذا سن قانوناً في الطريق أو في الشوارع، وفي غير ذلك من الأشياء التي تنفعهم، في الدوائر، لا يخالف الشرع لكن ينفذ الأمور لا بأس. أما القوانين التي تخالف الشرع لا، إذا سن قانوناً معناه: أنه لا حد على الزاني، ولا حد على السارق، ولا حد على شارب الخمر ـ هذا باطل، هذه قوانين باطلة، وإذا

استحلها الوالي كفر، إذا قال: إنها حلال، وإنها لا بأس بها، هذا يكون كفراً، من استحل ما حرم الله كفر.

س ٣: كيف يتعامل معه؟

ج ٣: يتعامل معه في المعروف، يطاع في المعروف، لا في المعاصي حتى يأتي الله بالبديل.

س ٤: تعلم يا سماحة الشيخ ما حل في الساحة من فتن فأصبح هناك جماعات مثل: جماعة التبليغ، وجماعة الإخوان، والسلفية وغيرهم من الجماعات، وكل جماعة تقول: إنها هي التي على صواب في اتباع السنة. فيا شيخ حفظك الله، أسألك بالله أن تخبرنا من هم الذين على صواب من هذه الجماعات، ومن نتبع منهم، وسمهم بأسمهم؟ وجزاك الله خير الجزاء.

ج ٤: سمعت في المحاضرة وفي التعليق، من هم الجماعة الذين يتبعون، الجماعة التي يجب اتباعها والسير في منهاجها، هم: أهل الصراط المستقيم، هم أتباع النبي ﷺ، هم أتباع الكتاب والسنة الذين يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، أما الجماعات الأخرى فلا

تسمع لها إلا إذا وافقت الحق، سواء كانوا (الإخوان المسلمون)، أو (جماعة التبليغ)، أو (أنصار السنة)، أو من يقولون: إنهم (السلفيون) أو غيرهم، أو (الجماعة الإسلامية)، أو فرقة تسمي نفسها شيئاً، أو سموا أنفسهم بأهل الحديث، يطاعون ويتبعون في الحق، ما قام عليه الدليل يوافقون عليه، وما خالف الدليل يرد عليهم، يقال: لا، هذا غلط منكم، أو أخطأتم في هذا، أخطأتم أيها الإخوان، أخطأتم في هذا الأمر، نوافق على هذا الأمر الذي وافق الآية الكريمة والحديث الشريف، وافق إجماع أهل العلم، وافق أهل السنة والجماعة، هذا نوافق عليه؛ أما قولكم: كذا، أو قولكم: كذا، أو فعلكم كذا، فهذا خلاف الحق، هذا يقوله لهم أهل العلم، ما يعرف هذا إلا أهل العلم، هم الذين يبصرون الجماعات الإسلامية: جماعة التبليغ، جماعة الإخوان، جماعة أنصار السنة، الجماعة السلفية، إنما يعرف التفاصيل أهل العلم: أهل العلم بالقرآن والسنة، الذين تفقهوا في الدين من طريق الكتاب والسنة هم الذين يعرفون تفاصيل هذه الجماعات، وهذه الجماعات عندها حق وباطل، عندها حق، ما هي معصومة، كل واحد

ما هو معصوم، لكن الحق ما قام عليه الدليل، فما قام عليه الدليل - من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من هذه الجماعات، أو من مذهب الحنابلة، أو الشافعية، أو المالكية، أو الظاهرية، أو الحنفية أو غيرهم - هو الحق، وما خالف الدليل - من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - يكون خطأ، وصاحبه إذا كان من أهل الحق مجتهداً طالباً للحق يكون له أجران إذا أصاب، وإذا أخطأ يكون له أجر.

وأما الذين يدعون إلى غير السنة، يدعون إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هؤلاء لا يُتَّبعون، ولا يُقلَّدون، ولا ينظر فيهم ويُعَادَون، كالدعاة إلى الرفض (التشيع)، ضد أهل السنة والجماعة ضد الصحابة، ويسبون الصحابة، ويدعون بزعمهم كذباً وزوراً إلى اتباع أهل البيت، هذا باطل؛ لأن أهل البيت هم من أهل السنة والجماعة؛ علي رضي الله عنه، والحسن والحسين وأهل البيت المعروفين بالخير هم من أهل السنة على طريق الصحابة، هم من جنس ما عليه أبوبكر وعمر، فالذي يخالف أهل البيت، ويزعم أنهم يعلمون الغيب أو أنهم يُعْبدُون من دون الله، بالدعوة من دون الله، أو أن ينبغي أن يقام على قبورهم مساجد أو

قباب، هذا غلط، هذا باطل، لا يُقَلَّدون ولا يُتَّبَعُون، هؤلاء يعتبرون من أهل الباطل دون شك. نسأل الله العافية.

وهكذا العلمانيون الذين يدعون إلى الرأي وإلى ما يخالف شرع الله، يدعون إلى أهوائهم وإلى ترك الكتاب والسنة، وإنما يتبع ما يهواه الناس وما يريدونه، وما يصلح لهم في دنياهم، هؤلاء يجب أن يحاربوا، ما يطاعون، إنما يُطَاع ويُتَّبع من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووافق الحق: أصاب في الحق، فإذا أخطأ لا، يقال له: أحسنت إذا أحسن، وأخطأت إذا أخطأ، ويتبع في الصواب، ويدعى له بالتوفيق. وإذا أخطأ يقال: أخطأت في كذا، وخالفت الدليل الفلاني، والواجب عليك التوبة إلى الله والرجوع إلى الحق، هذا يقوله أهل العلم، أهل البصيرة، أما العامي يسأل أهل العلم بالله، أهل العلم بالكتاب والسنة المعروفين الذين يتبعون الكتاب والسنة، لا يدعون إلى إلحاد وإلى رفض، أو إلى مثل المتكلمين من الجهمية وغيرهم، أو إلى غير هذا من مذاهب أهل الباطل، إنما يتبع من يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالدليل، بالبصيرة، ويسأل أهل العلم عنهم، الذين عُرِفوا بالكتاب والسنة، يسألهم: ما تقولون

في دعوة فلان إلى كذا، يقول: كذا، يقول: كذا؛ حتى يتبصر، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)، فالله يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله هم أهل الذكر، أما أهل البدع فليسوا من أهل الذكر، الدعاة إلى البدعة ليسوا هم أهل الذكر.

س ٥: نحن في دولة لا يوجد فيها عالم رباني يؤخذ منه العلم، ونعتمد على الكتب والأشرطة الإسلامية، وقد ذكرتم: بأن العلم لا ينال إلاّ بالاطلاع، فماذا نعمل ونحن في ظروفنا هذه؟

ج ٥: عليكم أن تلتمسوا العلم في الأشرطة الطيبة من علماء الحق المعروفين: في (نور على الدرب) فيه خير كثير، برنامج نور على الدرب يذاع بين المغرب والعشاء من إذاعة نداء الإسلام، ويذاع الساعة التاسعة والنصف ليلاً من إذاعة القرآن الكريم كل ليلة، فيه علماء يتحرون الحق بالدليل، وكذلك في الأشرطة الطيبة من العلماء استفيدوا منها؛ فهي كأنكم سألتموهم. واجتهدوا في السفر إلى الأماكن التي فيها

---

(١) سورة النحل، الآية٤٣، وسورة الأنبياء، الآية ٧.

العلماء، وتحروا حلقات العلم ولو بين وقت وآخر، كان السلف يسافرون مسافات طويلة هكذا لنيل العلم والحصول على العلم، وانتظموا في الكليات والمعاهد النافعة، واطلبوا ذلك؛ حتى تستفيدوا. هكذا يكون طالب العلم الحريص، يطلب الأشرطة الطيبة، يستمع إلى المقالات الطيبة، والمحاضرات الطيبة، يستمع إلى نور على الدرب، يسافر إلى حلقات العلم، ولو إلى مكان بعيد ولو في مسجد بعيد، إلى علماء السنة؛ يحضر حلقاتهم ويستفيد منهم كان السلف يسافرون من المغرب إلى مكة، من المغرب الأقصى إلى مكة والمدينة، ومن الشرق من الهند وباكستان وغير ذلك إلى مكة والمدينة، لطلب العلم، وإلى الشام، فلكم قدوة إذا سافرتم إلى عالم تعرفونه أنه من أهل السنة، تحضرون حلقات العلم عنده وتستفيدون. هذا كله طيب، هذا من طلب العلم.

نسأل الله أن يوفق الجميع، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

وفق الله الجميع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

حوار مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حول (الفقه في الدين) أجرته معه جريدة الشرق الأوسط(١)

س١ : من المسائل المثارة قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم والضوابط الشرعية لهذه العلاقة.

سماحة الشيخ : هناك من يرى أن اقتراف بعض الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتب عليه ضرر للمسلمين في البلد. والأحداث التي

---

(١) نشر هذا الحوار في جريدة الشرق الأوسط في العدد (٥٢٨٩) بتاريخ ١/١٢/١٤١٣هـ الموافق ٢٢/٥/١٩٩٣م، تحت عنوان: (سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في حوار خاص مع الشرق الأوسط)، حول ما أثارته محاضرة (الفقه في الدين) لفضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، وتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز - من أسئلة واستفسارات لدى قراء الجريدة.

يعاني منها عالمنا الإسلامي كثيرة، فما رأي سماحتكم في هذا؟

ج ١: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[(١)]، فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر، وهم: الأمراء، والعلماء، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة، وهي فريضة في المعروف.

والنصوص من السنة تبين المعنى، وتقيد إطلاق الآية بأن المراد: طاعتهم بالمعروف، ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، لكن لا يجوز الخروج

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

عليهم بأسبابها؛ لقوله ﷺ: «ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنَّ يداً من طاعة»، ولقوله ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»، وقال عليه الصلاة والسلام: «على المرء السمع والطاعة في ما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وسأله الصحابة رضي الله عنهم - لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون - قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم»، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، قال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان».

فهذا يدل على أنه لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور، ولا الخروج عليهم، إلاَّ أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان؛ وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً، فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم، ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور

فساد عظيم وشر كثير، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج؛ رعاية للمصالح العامة.

والقاعدة الشرعية المجمع عليها: (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه)، أما درء الشر بشرٍ أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً عندها قدرة تزيله بها، وتضع إماماً صالحاً طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين، وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس. أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال... إلى غير هذا من الفساد العظيم؛ فهذا لا يجوز، بل يجب الصبر، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاة الأمور، والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير.

هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة؛ ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير؛ ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

س٢: سماحة الوالد: نعلم أن هذا الكلام أصل من أصول أهل السنة والجماعة، ولكن هناك - للأسف - من أبناء أهل السنة والجماعة من يرى هذا فكراً انهزامياً، وفيه شيء من التخاذل، وقد قيل هذا الكلام؛ لذلك يدعون الشباب إلى تبني العنف في التغيير؟

ج ٢: هذا غلط من قائله، وقلة فهم؛ لأنهم ما فهموا السنة ولا عرفوها كما ينبغي، وإنما تحملهم الحماسة والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا فيما يخالف الشرع، كما وقعت الخوارج والمعتزلة، حملهم حب نصر الحق أو الغيرة للحق، حملهم ذلك على أن وقعوا في الباطل حتى كَفَّروا المسلمين بالمعاصي كما فعلت الخوارج، أو خَلَّدوهم في النار بالمعاصي كما تفعل المعتزلة.

فالخوارج كَفَّروا بالمعاصي، وَخَلَّدوا العصاة في النار، والمعتزلة وافقوهم في العاقبة، وأنهم في النار مخلدون فيها، ولكن قالوا: إنهم في الدنيا بمنزلة بين المنزلتين، وكله ضلال.

والذي عليه أهل السنة ـ وهو الحق ـ أن العاصي لا يكفر بمعصيته ما لم يستحلها، فإذا زنا لا يكفر، وإذا سرق لا يكفر، وإذا شرب الخمر لا يكفر، ولكن يكون عاصياً ضعيف الإيمان فاسقاً تقام عليه الحدود، ولا يكفر بذلك إلا إذا استحل المعصية وقال: إنها حلال، وما قاله الخوارج في هذا باطل، وتكفيرهم للناس باطل؛ ولهذا قال فيهم النبي ﷺ: إنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه، يُقَاتِلون أهل الإسلام وَيَدَعُون أهل الأوثان، هذه حال الخوارج بسبب غلوهم وجهلهم وضلالهم، فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يُقَلِّدوا الخوارج والمعتزلة، بل يجب أن يسيروا على مذهب أهل السنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية، فَيَقِفُوا مع النصوص كما جاءت، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل

معصية أو معاصٍ وقعت منه، بل عليهم المناصحة بالمكاتبة والمشافهة، بالطرق الطيبة الحكيمة، وبالجدال بالتي هي أحسن؛ حتى ينجحوا، وحتى يقل الشر أو يزول ويكثر الخير.

هكذا جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ، والله عز وجل يقول: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1].

فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا حدود الشرع، وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور، بالكلام الطيب، والحكمة، والأسلوب الحسن، حتى يكثر الخير ويقل الشر، وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة، ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة، مع الدعاء لهم بظهر الغيب: أن الله يهديهم ويوفقهم ويعينهم على الخير، أن الله يعينهم على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحق.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

هكذا يدعو المؤمن الله ويضرع إليه: أن يهدي الله ولاة الأمور، وأن يعينهم على: ترك الباطل، وعلى إقامة الحق بالأسلوب الحسن وبالتي هي أحسن، وهكذا مع إخوانه الغيورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم؛ حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة، وبهذا يكثر الخير، ويقل الشر، ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه، وتكون العاقبة حميدة للجميع.

س ٣: لو افترضنا أن هناك خروجاً شرعياً لدى جماعة من الجماعات، هل هذا يُبرِّر قتل أعوان هذا الحاكم وكل من يعمل في حكومته مثل: الشرطة والأمن وغيرهم؟

ج ٣: سبق أن أخبرتك: أنه لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين:

أحدهما: وجود كفرٍ بواحٍ، عندهم من الله فيه برهان.

والشرط الثاني: القدرة على إزالة الحاكم إزالةً لا يترتب عليها شر أكبر منه، وبدون ذلك لا يجوز.

س ٤: يظن البعض من الشباب - حفظك الله - أن مجافاة

الكفار - ممن هم مستوطنون في البلاد الإسلامية أو من الوافدين إليها - من الشرع؛ ولذلك البعض يستحل قتلهم وسلبهم إذا رأوا منهم ما ينكرون.

ج ٤: لا يجوز قتل الكافر المستوطن، أو الوافد المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً، ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم، بل يحالون فيما يحدث منهم من المنكرات للحكم الشرعي، وفيما تراه المحاكم الشرعية الكفاية.

س ٥: وإذا لم توجد محاكم شرعية؟

ج ٥: إذا لم توجد محاكم شرعية، فالنصيحة فقط، النصيحة لولاة الأمور، وتوجيههم للخير، والتعاون معهم؛ حتى يُحَكِّموا شرع الله. أما أن الآمر والناهي يمد يده فيقتل أو يضرب فلا يجوز، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن؛ حتى يُحَكِّموا شرع الله في عباد الله، وإلا فواجبه النصح، وواجبه التوجيه إلى الخير، وواجبه إنكار المنكر بالتي هي أحسن، هذا هو واجبه، قال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(١)؛ لأن إنكاره باليد بالقتل أو الضرب يترتب عليه شر أكثر وفساد أعظم بلا شك ولا ريب لكل من سبر هذه الأمور وعرفها.

س ٦: هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالذات التغيير باليد حق للجميع، أم أنه حق مشروط لولي الأمر أو من يُعَيِّنُهُ ولي الأمر؟

ج ٦: التغيير للجميع حسب استطاعته؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، لكن التغيير باليد لابد أن يكون عن قدرة لا يترتب عليه فساد أكبر وشر أكثر، فليُغَيِّرْ باليد في بيته: على أولاده، وعلى زوجته، وعلى خدمه، وهكذا الموظف في الهيئة المختصة المعطى له صلاحيات، يغير بيده، حسب التعليمات التي لديه، وإلا فلا يغير شيئاً ليس له فيه صلاحية؛ لأنه إذا غير بيده فيما لا يدخل تحت صلاحيته يترتب عليه ما هو أكثر شراً

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

ويترتب بلاء كثير وشر عظيم بينه وبين الناس، وبينه وبين الدولة. ولكن عليه أن يغير باللسان كأن يقول: (اتق الله يا فلان، هذا لا يجوز)، (هذا حرام عليك)، (هذا واجب عليك)، يبين له بالأدلة الشرعية باللسان، أما باليد فيكون في محل الاستطاعة، في بيته، أو فيمن تحت يده، أو فيمن أذن له فيه من جهة السلطان أن يأمر بالمعروف، كالهيئات التي يأمرها السلطان ويعطيها الصلاحيات، يُغَيِّرون بقدر الصلاحيات التي أعطوها على الوجه الشرعي الذي شرعه الله، لا يزيدون عليه، وهكذا أمير البلد يغير بيده حسب التعليمات التي لديه.

س ٧: هناك من يرى ـ حفظك الله ـ أن له الحق في الخروج على الأنظمة العامة التي يضعها ولي الأمر كالمرور والجمارك والجوازات.. إلخ، باعتبار أنها ليست على أساس شرعي، فما قولكم ـ حفظكم الله ـ؟

ج ٧: هذا باطل ومنكر، وقد تقدم: أنه لا يجوز الخروج ولا التغيير باليد، بل يجب السمع والطاعة في هذه الأمور التي ليس فيها منكر، بل نَظَّمها ولي الأمر لمصالح المسلمين،

فيجب الخضوع لذلك، والسمع والطاعة في ذلك؛ لأن هذا من المعروف الذي ينفع المسلمين، وأما الشيء الذي هو منكر؛ كالضريبة التي يرى ولي الأمر أنها جائزة فهذه يراجع فيها ولي الأمر للنصيحة والدعوة إلى الله، وبالتوجيه إلى الخير، لا بيده يضرب هذا أو يسفك دم هذا أو يعاقب هذا بدون حجة ولا برهان، بل لابد أن يكون عنده سلطان من ولي الأمر يتصرف به حسب الأوامر التي لديه، وإلا فحسبه النصيحة والتوجيه، إلا فيمن هو تحت يده من أولاد وزوجات ونحو ذلك ممن له السلطة عليهم.

س ٨: هل من مقتضى البيعة - حفظك الله - الدعاء لولي الأمر؟

ج ٨: من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر، ومن النصح: الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة؛ لأن من أسباب صلاح الوالي، ومن أسباب توفيق الله له: أن يكون له وزير صدق، يعينه على الخير، ويُذَكِّره إذا نسي، ويُعِينُه إذا ذكر، هذه من أسباب توفيق الله له.

فالواجب على الرعية وعلى أعيان الرعية التعاون مع ولي

الأمر في الإصلاح وإماتة الشر والقضاء عليه، وإقامة الخير بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والتوجيهات السديدة التي يرجى من ورائها الخير دون الشر، وكل عمل يترتب عليه شر أكثر من المصلحة لا يجوز؛ لأن المقصود من الولايات كلها تحقيق المصالح الشرعية، ودرء المفاسد، فأي عمل يعمله الإنسان يريد به الخير ويترتب عليه ما هو أشر مما أراد إزالته وما هو منكر لا يجوز له.

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى إيضاحاً كاملاً في كتاب (الحسبة) فليراجع؛ لعظم الفائدة.

س٩: ومن يمتنع عن الدعاء لولي الأمر حفظك الله؟

ج ٩: هذا من جهله وعدم بصيرته؛ لأن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات، ومن النصيحة لله ولعباده، والنبي ﷺ لما قيل له: إن دوساً عصت وهم كفار، قال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم» فهداهم الله وأتوه مسلمين.

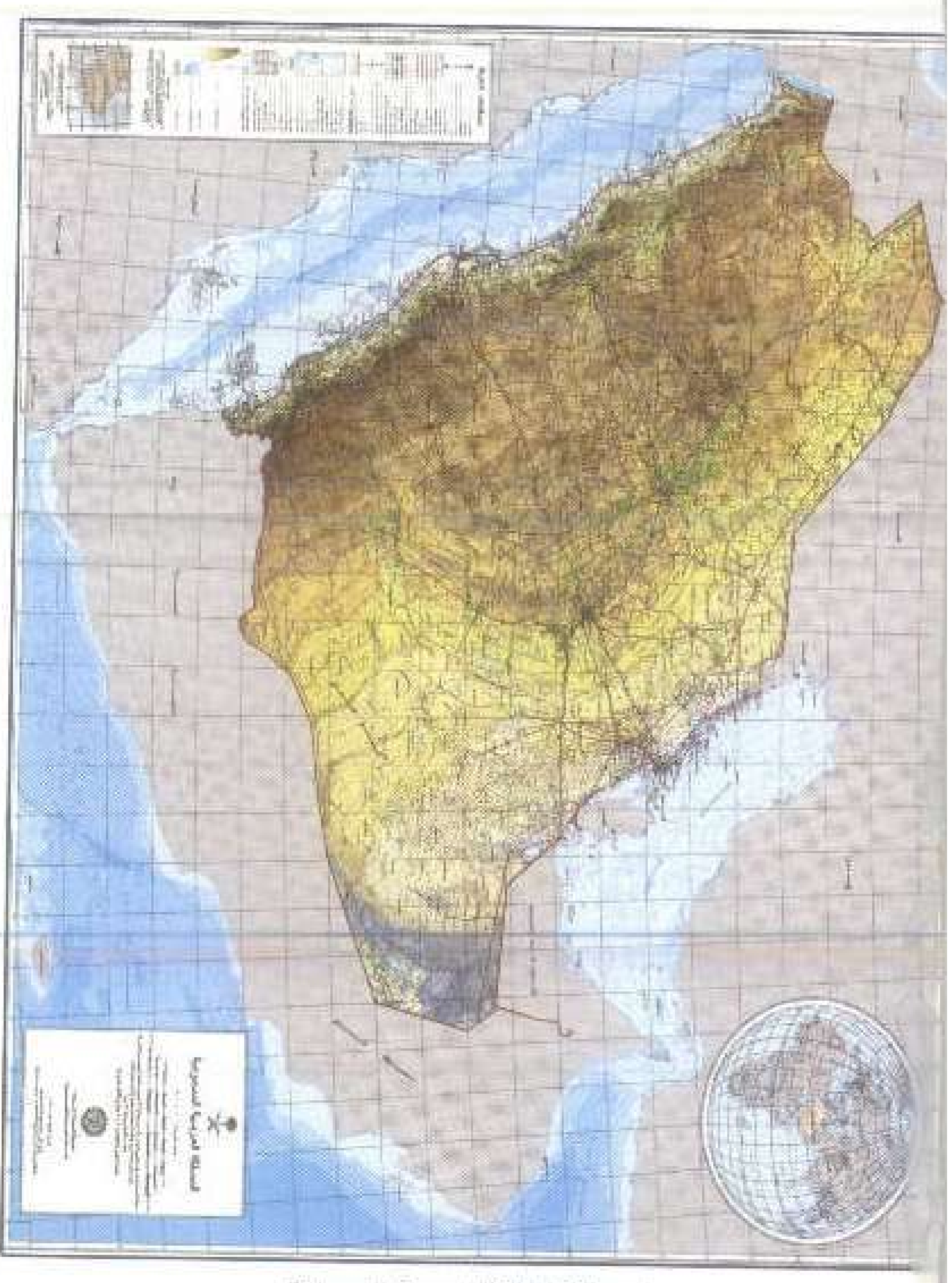
فالمؤمن يدعو للناس بالخير، والسلطان أولى من يُدْعَى له؛ لأن صلاحه صلاح للأمة، فالدعاء له من أهم الدعاء،

ومن أهم النصح: أن يُوَفَّق للحق، وأن يُعَان عليه، وأن يُصلح الله له البطانة، وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء، فالدعاء له بالتوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل وصلاح البطانة من أهم المهمات، ومن أفضل القربات، وقد رُوي عن الإمام أحمد أنه قال: (لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان)، ويروى ذلك عن الفضيل بن عياض رحمه الله. والله ولي التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الموضوع الصفحة
محاضرة الفقه في الدين
لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ٥
تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز على محاضرة (الفقه في الدين) ٤٥
أسئلة ألقيت على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بعد تعليقه على محاضرة (الفقه في الدين) ٦٣
حوار مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حول (الفقه في الدين) أجرته معه جريدة الشرق الأوسط ٧٣



خريطة المملكة العربية السعودية

صدرت هذه الخريطة من الهيئة العامة للمساحة بالمملكة العربية السعودية

الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بمكتبة الملك فهد الوطنية ٣٨٣٦ / ١٤٣٠ هـ ردمك ، ٩٧٨-٦٠٣-٨٠١٥

هواتف أصحاب الفضيلة أعضاء الفتوى (الخارجية والداخلية)

م	الاســـم	الريـــاض		مكـة	الطـائف
		مباشر	تحويلة	مباشر	مباشر
١	سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ	٤٥٨٢٧٥٧	٢٢١٠	٥٥٦٤١٥٧	٧٣٦٠٨١٧ ٧٣٢٢٦١١
٢	معالي الشيخ/ د. صالح بن فوزان الفوزان	٤٥٨٨٥٧٠	٢٨٠٠	٥٥٨١٤٢٨	٧٣٣٢٦٦٣
٣	معالي الشيخ/ د. أحمد بن علي سير المباركي	٢٧٧٢٦٧٩٨	٢٨٨٨	٥٥٤٣٢٥٢	٧٣٧٤٥٥٢
٤	معالي الشيخ/ د. عبدالله بن محمد المطلق	٤٥٨٥٤٤٣	٢٧٧٧	٥٥٨٢٤٥٥	٧٣٧٤٥٥١
٥	معالي الشيخ/ عبدالله بن محمد الخنين	٤٥١١٥٤١	٢٧٠٠	٥٥٧١٩٣٣	٧٣٣٤١٠٤
٦	معالي الشيخ/ محمد بن حسن آل الشيخ	٤٥٩٦٩٥٣	٢١٠٠	٥٥٦٤٠٥٩	٧٣٣٥٠٨٨
٧	معالي الشيخ/ د. عبدالكريم بن عبدالله الخضير	٤٥٩٥٩٥٦	٢٢٩٩		٧٣٧٤٥٥٣
٨	فضيلة الشيخ/ خلف بن محمد المطلق	٤٥٩٧٣٧٩	٢٩٢٩		
٩	فضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن التويجري	٤٥١٤٤٧٧	٢٧٢٧		
١٠	فضيلة الشيخ/ د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين	٤٥٨١٨٩١	٢٥٢٥		

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

السنترال ٤٥٩٥٥٥٥ – ٤٥٩٦٢٩٢ الرياض

السنترال ٥٥٠٧٧٧٧ مكة المكرمة

السنترال : ٧٣٢٠٩٠٠-٧٣٢٨٨٨٨ الطائف



الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

أ - الريـــاض

السنترال : ٤٥٩٥٥٥٥ - الرمز البريدي : ١١١٣١

فاكس : ٤٥٩٦٢٩٢-٤٥٩٦٩٤٣

موقع الرئاسة على الإنترنت http://www.alifta.com

ب - مكة المكرمة

السنترال : ٥٥٠٧٧٧٧

فاكـــس : ٥٥٨٨٧٨٧

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء سنترال : ٥٥٨٨٠٠٧

جـ - الطائف

السنتـرال : ٧٣٢٠٩٠٠

فاكـــس : ٧٣٢٣٣٨٠-٧٣٦٩٤١٦

مطابع الحميضي ٠١/٢١٣٠١٣٠

ردمك ٤-٠٠-٤٨٠-١١-٩٩٦٠-٩٧٨